

صفحات من كتب الصيف والشتاء

١ - حمامة

حين سرت في الشارع الضوضاء ..
واندفعت سيارة مجنونة السائق
تطلق صوت بوقها الزاعق
في كبد الأشياء :
تفزعت حمامة بيضاء
(كانت على تمثال نهضة مصر ..
تحلم في استرخاء !)

طارت ، وحطت فوق قبعة الجامعة النحاس
لاهثة .. تلتقط الانفاس
وفجأة : دندنت الساعة
ودقت الأجراس
فحلفت في الأفق .. مرتاعة !

أيتها الحمامة التي استقرت فوق رأس الجسر
(وعندما أدار شرطي المرور يده ..
ظننته ناظورا يصدّ الطير
فامتلات رعبا !)
أيتها الحمامة التعبى
دوري على قبات هذه المدينة الحزينة
وانشدي للموت فيها ، والأسى ، والذعر
حتى نرى عند بزوغ الفجر
جثمانك الملقى على قاعدة التمثال في المدينة
وتعرفين راحة السكينة !

٢ - ساق صناعية

في الفندق الذي نزلت فيه قبل عام
شاركني الغرفة .
فأغلق الشرفة ..
وعلق « السترة » فوق المشجب المقام
وعندما رأى كتاب « الحرب والسلام » ..
.. بين يدي : أربد وجهه ، ورفّ جفنه رفته
فقال الرجفة
وقصّ عن صبيّة طارحها الغرام
وكان عائدا من الحرب .. بلا وسام
فلم تطق ضعفه
ولم يجد - حين صحا - الا بقايا الخمر والطعام .

ثم روى حكاية عن الدم الحرام
(الصحراء لم تطق رشفه
فظل فيها .. يشتكي ربيعته صيفه)
... ..

وظل يروي القصص الحزينة الختام
حتى تلاشى وجهه في سحب الدخان والكلام
وعندما تحشرج الصوت به ،
وطالت الوقفة :

أدرت رأسي عنه ، حتى لا أرى دمعته العفوية
ومن خلايا جسدي :

تفصد الحزن .. وبلبل المسام ..
... ..

وحين ظن أنني أنام
رأيته يخلع ساقه الصناعية في الظلام
مصعدا تنهيدة .. قد أحرقت جوفه !

٣ - شتاء عاصف

كان « ترام الرمل »
منبعجا .. كامرأة في أخريات الحمل
وكنت في الشارع
أرى شتاء « الغضب الساطع »
يكتسح الأوراق والمعاطف
وكانت الأحجار في سكونها الناصع
مفسولة بالمطر الذي توقفا
وكان في المدياع
أغنية حزينة الإيقاع
عن « ظالم لاقيت منه ما كفى »
قد « علّموه كيف يجفو .. فجفا »
... ..

جلست فوق الشاطئ اليابس
وكان موج البحر
يصفع خد الصخر
وينطوي - حيننا - أمام وجهه العابس
.. وترجع الامواج
تنطحه برأسها المهتاج
ودون أن تكف عن صراعها اليأس
ودون أن تكف عن صراعها اليأس